

عالمية الإمام علي (ع) و مصادر شخصيته العلمية و الفكرية

أ. م. د. فضيلة صبيح نومان الخزاعي

قسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة القادسية - العراق

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين المصطفى الأمين محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين ... وبعد

بمناسبة مرور 14 قرناً على اختيار الإمام علي (ع) مدينة الكوفة عاصمة للعالم الإسلامي وهي ذكرى عزيزة لتكريم هذه العاصمة الفكرية الخالدة التي طمس تاريخها ونكب تراثها فنسيت أو كادت تنسى إذ حاولت أيادي السوء محو الذاكرة الغنية بالمجد لهذه الحاضرة العظيمة لكونها ترتبط بصاحب الذكرى إمام الانتقاء وسليمان الأولياء ولكن (يَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنْزِلَ نُورُهُ)¹. فأصبحت بحق عاصمة الإمام علي (ع) بعد أن أعاد للكوفة سابق عزها وبعد أن اتخذها موطناً وحرماً وسكنها مع ولديه النورين الإماميين الحسينيين والعقيلة زينب (عليهم السلام) لأمر إرادته الله إذ إن الكوفة هي موطن أجداده واصله الذي تنتسب إليه (قریش) يوم كانت مرايضها على ضفتي الفرات من سُرّة السواد

فمن جانب اننا نواجه غزواً فكرياً وحضارياً يهدف إلى تهديم شخصيتنا وذلك بتدمير مقوماتها من العقيدة والحضارة والتاريخ ، ومن جانب آخر نعاني من تمزقات وصراعات تستنزف قوى الأمة وتجعلها عاجزة عن التصدي لأعداءها ، ولذلك كان الإمام علي (ع) رجل رسالة استوعبت الحياة كلها تنظيمياً وتشريعياً ومنهجياً وهي رسالة ذات طابع عالمي ممتدة في هذا الزمان إلى آخر الزمان إراد الله تعالى لها أن تكون ديناً للإنسان تقوده نحو التكامل الذي يحقق له التوازن والتسامي وهي رسالة الإسلام التي تقوم على العلم والمعرفة وترفض الجهل لأنه تتيح لأعداءها أن يتسللوا في ظلماته إلى قلوب أتباعها المؤمنين بما وعقولهم فيشوهون ويحركون عقائدها وشرائعها ومناهجها ويضللون بعد ذلك أتباعها المؤمنين بها وذلك حين يلبسون لهم الحق بالباطل والصواب بالخطأ .

ومن هنا كان الإمام علي (ع) في حركة تعليمية دائمة لمجتمعه وخواص أصحابه الذين كانوا علماء ينشرون علمهم ووعيتهم بين الناس بالحديث والخطابة وحلقات الدرس والتعليم ، فكان هذا البحث الحالي الذي احتوى على مقدمة ومبحثين كان الأول بعنوان: ملامح ومصادر الشخصية العلمية والفكرية للإمام علي (ع) وأثرها في المجتمع الكوفي ، والمبحث الثاني بعنوان: عالمية الإمام علي (ع) من وجهة نظر غير المسلمين ، كذلك تضمن البحث خاتمة ونتائج عامة وخاصة وأخيراً المصادر والمراجع القديمة والحديثة التي رفدت البحث بالمادة العلمية الرصينة.

¹ التوبة 32

ملاحم ومصادر الشخصية العلمية

والفكرية للإمام علي (ع)

اولا: القرآن الكريم:

يتمثل النور الالهي في الارض ببضعه من الآدميين شاء لهم الله ان يمتازوا عن سائر الخلق بذلك، فهم مشاعل الخير والهداية على مر العصور والاجيال وقادة الامم والمجتمعات نحو السعادة والصلاح اختارهم الله فكانوا نور الله في الارض بملاؤنها قسطا وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجورا.

فكان الامام علي (ع) فبحق الف باء الرسالة المحمدية وسورة الدهر والنبأ العظيم في القرآن الكريم والنور الالهي المنبعث للبيت العتيق ليضيء سماء الاسلام، ويأتي القرآن الكريم في مقدمة هذه المصادر التي استقى منها الامام معرفته التاريخية، وقد اشتمل القرآن على نصوص كثيرة منبته في تضاعيف السور تضمنت الحياة الإسلامية بكل مجالاتها العامة والخاصة وذلك من خلال عرض القرآن الكريم لحركة النبوات في تاريخ البشرية، وحكايته لكيفية استجابة الناس في كل امة وجيل لرسالات الله تعالى التي بشر بها الانبياء (سلام الله عليهم اجمعين).

والتأثير القرآني شديد الوضوح في تفكير الامام (ع) من حيث المنهج ومن حيث المضمون، وقد حدث الامام في هذا الشأن قائلا: " والله ما نزلت اية الا وقد علمت فيم انزلت، واين انزلت، ان ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا سؤولا"²

واما روايات اصحابه التي ذكرت هذا، ماروي عن عبد الله بن مسعود، قال: " ان القرآن انزل على سبعة احرف، مامنها حرف الا ظهر وبطن، وان علي بن ابي طالب (ع) عنده علم الظاهر والباطن."³

ثانيا: مصاحبه للرسول (ص):

وقد وردتا اقوال للرسول (ص) في الامام علي (ع) ومنها: قال رسول الله (ص) لعلي: " يا علي انت حجة الله وانت باب الله، وانت الطريق الى الله، وانت النبأ العظيم، وانت الصراط المستقيم، وانت المثل الاعلى يا علي انت امام المسلمين وانت امير المؤمنين وسيد الوصيين، يا علي انت الفاروق الاعظم وانت الصديق الاكبر، يا علي انت خليفتي على امتي وانت قاضي ديني وانت منجز عداوتي.

ولاشك ان العلم والعدل هما المصدران المهمان للقيادة الحقيقية في أي مجتمع، فكيف اذا كان في مجتمع يقوده امام الاولياء وهو المجتمع الكوفي، ولا مجال لمن لاعلم له ان يدير سور الامة، لانه سيكون جاهلا بما من شأنه ان يقوم ادارته، وينجح قيادته ولا تقويم ولا نجاح بدون المعرفة والعلم .

فكانت مصاحبة الامام علي (ع) للرسول الاكرم (ص)، لا يمكن لاحد ان يغفلها لما بينهما من ارتباط وثيق بين العالم والمتعلم، وان دل هذا على شي فهو يدل على ان الرسول (ص) يعتني علميا بخليفة من بعده على وفق منهجية دقيقة . تتكون من ركائز مهمة وهي: السماح للامام علي (ع) بالدخول عليه في اوقات لا يمكن ان يدخل فيها غيره، كذلك المشاركة الرسالية بمجديد القرآن واسرار الافكار الرسالية المحمدية الجديدة، كذلك الاحكام والالزام والشمولية الشرعية

² الطبقات الكبرى (ابن سعد) ، ج2/ قسم 2: 101 ، وحلية الاولياء : 67/1

³ حلية الاولياء : (ابو نعيم الاصبهاني) : 65/1

والفكرية واستيعاب كل جوانب الشريعة، فضلا عن الاستمرارية، ولذلك قال الرسول (ص)⁴: " اخصمك يا علي بالنبوة فلا نبوة بعدي وتخصم الناس بسبع لا يحاجك فيها احد من قريش، انت اولهم إيماناً، واوفاهم بعهد الله، واقومهم بامر الله، واقسمهم بالسوية، واعدهم بالرعية، وابصرهم بالقضية، واعظمهم عقد الله منزلة"⁵، وها قد شبه الرسول الاكرم (ص) في منزلة الامام منه بالكعبة قائلاً: (انت مني بمنزلة الكعبة يؤتى ولا تأتي)⁶

اذن هذه شهادة علمية الهية وهي بمثابة اجازة علمية لاستلام الاستراتيجي للمرحلة المقبلة .

ثالثاً: الموروث الثقافي:

ونقصد به المدونات التاريخية التي قرأها الامام علي(ع) المدونة باللغة العربية او بغيرها من اللغات التي كانت متداولة في المنطقة التي شهدت نشاطه، ولاسيما بعد ان انتقل من الحجاز الى العراق، واضطرته مشكلات الحكم والفتن الى هذه التنقلات .

رابعاً: مارواه الحسن والحسين " عليهما السلام ":

فقال الحسن "عليه السلام" " فكان ابي اول من استجاب لله تعالى فـرسوله واول من امن وصدق الله ورسوله، فقد قال الله تعالى في كتابه المنزل على نبيه المرسل: {أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ} ⁷. كذلك ذكر الامام الحسن " عليه السلام" فضل ابيه من حيث انه السابق لكل شي، فقال: " " وقد قال الله عز وجل: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ} ⁸ فكان ابي سابق السابقين الى الله عز وجل والى رسوله واقرب الاقربين. ⁹

وقال الامام علي (ع) مؤكداً على تعليم الشخص لنفسه قبل تعليم غيره، قائلاً: " من نصب نفسه للناس اماماً، فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تاديبه بسيرته قبل تاديبه بلسانه، ومعلم نفسه ومؤدبها احق بالاجلال من معلم الناس ومؤدبهم " ¹⁰.

ف نجد انه (ع) قد حدد العهد بعمق ووضوح لكل مايتطلبه المجتمع الكوفي، وماينبغي للحاكم المسلم النهوض به عبر مسؤولياته القيادية، كي يستجيب لطموحات الامه التي يدير دفة حياتها، وهكذا: " تتماسك هذه الصفات الكريمة في سلسلة لاتنتهي وبعضها على بعض دليل، ومن اروع حلقاتها الصدق والاخلاص. " ¹¹

افليس من متممات هذه الصفات النبيلة ومن مزايا الفروسية العلوية ومن متممات العبقرية الادبية ان تقتزن جميعاً بهذه الثقة بالنفس التي عرف بها الامام. ¹²

⁴ مسند الامام الرضا (ع) 30/1 عيون اخبار الرضا (الشيخ الصدوق : 208/2 ، مناقب الامام علي (ع) (ابن المغازلي ، 93 ، 106 ، 192 ، الخصائص العلوية (النطنزي) : 27 ، 30 ، المناقب الخوارزمي : 72 ، 85 ، 112

⁵ حلية الاولياء : 312/1

⁶ وسائل الشيعة (الحر العاملي) : 32/11

⁷ هود : 17

⁸ التوبة : 100

⁹ ينظر : بلاغة الامام الحسن (ع) (عبد الرضا الصائي) : 29

¹⁰ ينظر : شرح نهج البلاغة (لابن ابي الحديد " ج1، نص 73

¹¹ علي بن ابي طالب (ع) والخلق العظيم (جورج جرداق) ، مجلة الكلية الاسلامية الجامعة ، ح1، عدد/32 : ص 5

خامساً: السفر الخالد نَهج البلاغة:

سواء اكان صقل حروفه على يد علي ابن ابي طالب ام كان على يد مقحم فنان فانه يبقى دائما تعبير عميق البلاغة عن نفسية رجل واحد يسمى بـ(علي ابن ابي طالب).¹³

وعلى الرغم من كل هذا، فقد استطاع الامام علي (ع) ان يرفع اضواء مشعل للعلم في سماء الثقافة والمعرفة، فهذا كتاب نهج البلاغة وهو جزء من اربعة وعشرين جزء من خطب الامام وكلماته الحكيمة ورسائله القيمة وهذه الكمية هي التي حفظها التاريخ ولا تسال عن الخطب والعلوم التي ضاعت ولم تلتقطها الادمغة ولم تسجلها مسجلات التاريخ، فقد روي ان علياً(ع) خطب في الناس يوما من بعد صلاة الصبح الى قبيل الظهر فكان الامام يفيض على الخلائق العلوم بشتى انواعها طيلة ست ساعات تقريبا.¹⁴

واما المنهج المتبع فهو المنهج التاريخي، اذ انه من اكثر الموارث ابداعا يتواءم مع مساحة كل مستحق والمحتوى السايكولوجي وهو منهج خاص بالشخصيات والمواضيع الكلامية، أي انه يتحرك داخل المنهج التاريخي، فيذكر لنا تكوينات افعال لبعض الرموز سلبا او ايجابا من اجل الاستدلال الوعظي او التحفيزي بغض النظر عن ارتباطه بمنهج السيرة الذاتية للشخصية.¹⁵

واما موضوعات هذا السفر، اغلبها في الزهد والمواعظ والتذكير والزواج ولاتكاد تعرف بان من كتب هذا الكلام هو فارس كان مصلتا سيفه في الحروب وهذه الموضوعات تعكس اهمية الدراسة الموضوعاتية على خدمة التاريخ ومواجهة النص، وهذا يوضح بعضها البعض بصورة متبادلة تكشف وجها من تاريخ الافكار، فضلا عن وجود واقعين داخل النص هما: الواقع المرجعي والواقع الافتراضي.¹⁶

وكثرة موضوعات نهج البلاغة تدل على ان الامام علي (ع)، كان يكتب في المواضيع جميعها لسعة ادراكه في كافة الشؤون العامة وحقائق الكون والحيلة ويبين هذا ان الموضوع هو احد المبادئ المنظمة للنص، فضلا عن تعددية الموضوع داخل النص الواحد .

ويبقى الهم الكبير للامام علي (ع) كقائد رسالي بعد رسول الله (ص) هو محاولة تطبيق الصيغة الاسلامية الصحيحة للحياة الانسانية على المجتمع الكوفي والعربي لغرض بناء الانسان المتكامل والمجتمع المتناسك .¹⁷

كما ان التميز العلمي في شخصية الامام علي (ع) فريد جداً، اذ ان الامام لم ينهض في ميدان دون اخر، بل كان السبات في جميع صنوف المعرفة ... وكان العهد العلوي يغطي مساحة واسعة ويحيط بكل قيم الحياة في الحكم والعدل مع الرعاية واحقاق الحقوق والمساواة بين الناس وعدم البغي والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وسحق الفساد والشر

¹² المصدر السابق

¹³ ينظر : الامام علي نبراس ومتراس (سليمان كتاني) : 26

¹⁴ ينظر : الامام علي (ع) من المهد الى اللحد (السيد محمد كاظم القزويني) : 95

¹⁵ ينظر : في نهج البلاغة (الاديب علي حسين الحجاز) : 7

¹⁶ ينظر : المصدر السابق.

¹⁷ ينظر : دراسات في نهج البلاغة (محمد مهدي شمس الدين) : 17

ونشر الفضيلة في كل مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والادارية لينعم المجتمع بالخير والرفاه كما اراد الله سبحانه وتعالى لعباده.¹⁸

وفعلا كان الامام علي (ع) امة مستقلة بذاتها، تحكي عقيلة الدهر، وتعبر عن نضج الزمان، وتصور نهاية المراحل من سمو البشرية، وقمة المجد، فليس من الصحيح ان يقاس علي (عليه السلام) بافراد، فهو نسيج وحده، من الخطأ ان يقاس علي (ع) بافراد، لانه نسيج وحده ومن الخطأ ان يقال عن علي: انه كانا ورعهم ... او اتقام وانبلهم ... وانت تعرض السيرة العظماء، والمزايا الانسانية مثلما اننا لانستطيع ان نشبه الارض بالقمر بماء¹⁹، فكان الامام لانقارنه بالافراد لانه اول ائمة المؤمنين وولادة المسلمين وخلفاء الله تعالى في الدين بعد رسول الله الخليل الصادق الامين²⁰، وان كلامه (عليه السلام) هو: " الكلام الاذي عليه مسحه من العلم الالهي وفيه عبقة من الكلام النبوي"²¹

المبحث الثاني:

الامام علي (ع) من وجهة نظر غير المسلمين .

ولايفوتنا القول ان محور عظمة الامام علي (ع) انما هو الايمان المطلق بكرامة الانسان وحقه المقدس في الحياة الحرة الشريفة وبان هذا الانسان متطورا ابدا، وان الجمود والتقهقر والتوقف عند حال من احوال الماضي او الحاضر ليست الا نذير الموت ودليل الفناء.²²

ونجد في شخصية الامام علي (ع) من المزايا النفسية والخصائص الشريفة والملكات الروحية من التي منحها الله تعالى له، مما اصبح للمسلمين وغيرهم كضوء النهار الباهر والقمر الزاهر فصار طريق الله المستقيم وجبل القويم والطريق الواضح ... وراية الهدى وعلم التقى والهدى والهدى لله تعالى.²³

وكانت هناك علاقة وثيقة بين المدينة الفاضلة في ذهن افلاطون وبين المدينة الاسلامية التي رسمها الامام علي (ع) من خلال الانموذج في المجتمع الكوفي: " لطالما كانت فكرة الجنة تشغل ذهن الانسان مدى التاريخ ولهذا لانجد ديننا او فلسفة تخلو من الاعتقاد بالجنة حتى الفلاسفات غير الدينية تبني لنفسها (المدينة الفاضلة (ابو تونيا) افلاطون، (مدينة الله) توماس مور، (سن سيته) جان ايزوله، ان هؤلاء قوم لم يتعرضوا قط الى جنة ماوراء الطبيعة، ولربما انكر ومامن راي بيد ان حاجتهم المستمرة والقلق والعوز والاختناقي هذا العالم حرم الى تصور وافترض عالم المطلق الجميل وبناء (المدينة الفاضلة) و(مدينة الله) والمدينة المقدسة كما فعل جان ايزوله"²⁴

¹⁸ ينظر: الامام علي نموذج الانسانية (صباح محسن كاظم) : 43 : 183

¹⁹ ينظر : كلمات الامام علي امير المؤمنين (للسيد علي الخطيب) : 159

²⁰ الارشاد (للشيخ المفيد) : 13

²¹ نهج البلاغة (شرح الشيخ محمد عبده) : 11

²² ينظر : الامام علي صوت العدالة الانسانية (جورج جرداق) : 12

²³ ينظر : الامام علي نبراس ومتراس : المقدمة

²⁴ الامام علي (ع) (علي شريعتي) : 62

فهذه هي العلاقة الوثيقة بين الامام علي (ع) والمدينة المعاصرة وحضارة اليوم .

وكل هذا الامام علي (ع) ظل كما هو - نفسا ازكى جميع النفوس بعد رسول الله (ص) وانسانا تمثلت فيه كل عناصر الانسانية، لتخلد ماخلد الدهر مثلاً للشهامة والعفة والرفقة والحنان والعدل والادب الذي ماعرف له نظير بعد من ادب القران الكريم، ومثلاً لعقلية جبارة حار في وصفها الاقدمون.²⁵

وبطولات الامام ماقتصرت يوماً على ميادين الحرب، فقد كان بطلاً في صفاء بصيرته وطهارة وجدانه، وسجراً بيبانه، وعمق انسانيته وحرارة إيمانه، وسمو دعوته ونصرتة للمحروم والمظلوم من الحازم والظالم، وتعبده للحق اينما تجلّى له الحق، وهذه البطولات مهما تقادم بها العمر لاتزال مقلعاً غنيا نعود اليه اليوم وفي كل يوم كلما اشتد بنا الوجد الى بناء حياة صالحة فاضلة²⁶

وقد وصفه المفكر الايراني علي شريعتي بقوله: " انه يحمل روحاً اكبر بكثير من الكون كل الكون، ولهذا فاني لاسطيع ان اتصور ان معاناة المدينة ومعاناة العرب والمجتمع العربي بل وحتى المجتمع الاسلامي، وحتى اصحابه وانصاره يمكن ان تضيق على عليّ وتجعله يئن بهذه الصورة ... ان علي اكبر من ذلك كله ولا بد ان يكون الالم والمعاناة من القوة بحيث اثرت في هذه الروح وجعلتها تتململ وتتصور. " ²⁷

ومعنى هذا الوصف انه بالرغم من كل الانقسامات التي شهدتها عهد الامام علي (ع)، فهو اكبر منها ومن كل الانشقاقات والخلافات، وقد ذكر المفكر اربع مصطلحات هي (معاناة المدينة) و(معاناة العرب) و (المجتمع العربي) و (المجتمع الاسلامي) ،وان دل هذا على شي انما يدل على ان الامام علي (ع) شخصية عالمية زامنت ورافقت واثرت في كل المجتمعات والفئات واللغات وبضمنها المجتمع الكوفي الذي هو الاخر اكتسب الصفة العالمية .

وهذا المفكر اللبناني المسيحي سليمان كتاني يؤكد ويقول: " ولو ان البحار مداد والاشجار اقلام وجميع الخلائق كتاب فما استطاعوا ان يجمعوا الا النذر اليسير من صفاته واينما يدور علي يدور الحق معه ... فلا تسوحش الطريق وان قل سالكيه، فطريق علي هو طريق الحق والصدق والمستقبل بعلي فقد استمسك بالعروة الوثقى لانفصام".²⁸

كذلك قد صور الشاعر والكاتب اللبناني جبران خليل جبران صورة رائعة للامام علي (ع) بالرغم من وصفه لحاله شهادته، فقال: " مات علي ابن ابي طالب شهيد عظمته ... مات والصلاة بين شفثيه وفي قلبه الشوق الى ربه ... انني اتمله مبتسماً قبل ان يغمض عينيه عن هذه الارض " .²⁹

وهذه هي اسباب عظمة الامام علي (ع) التي كان من اثارها ان تظل شخصية علي اربعة عشر قرناً وستظل عشرات القرون ... بل ومئات القرون كما لو كانت شخصية عظيمة جديدة ... لاعهد للمؤلفين والمؤرخين ومستعرضي السير بمثيلها في تاريخ البشرية.³⁰

²⁵ الامام علي نبراس ومتراس : 59

²⁶ ينظر : الامام علي صوت العدالة الانسانية : 18

²⁷ الامام علي (علي شريعتي) : 14

²⁸ الامام علي نبراس ومتراس : 6-7

²⁹ ينظر : الامام علي نبراس ومتراس : 11

وقد وصفه الشاعر الكبير المسيحي بولس سلامة في ملحمة الخالدة عن امير المؤمنين، قائلا³¹

ياسماء اشهدي وياارض قريّ

واخشعي اني ذكرت عليا

وقال ايضا

هو فخر التاريخ لا فخر شعب

يدعيه ويصطفيه وليا

لاتقل شيعة هواه علي

ان في منصف شيعيا

وقول الشاعر المسيحي (هو فخر التاريخ لافخر شعب يدعيه ويصطفيه وليا) انما هذه هي اللمعة بعينها، فالامام علي (ع) هو فخر لكل الشعوب والاحضارات وكل القلوب والعقول ترنو اليه .

وقلة اولئك الرجال الذين هم على نسيج علي ابن ابي طالب تنهد بهم الحياة موزعين على مفارق الاجيال، كالمصاييح تمتص حشاشتها لتغنيها هديا على مسالك العابدن، فهذا هو اللبناني المسيحي شبلي شميل من طلائع النهضة العربية، يقول: الامام علي بن ابي طالب، عظيم العظماء ونسخه مفردة لم ير لها الشرق ولا الغرب صورة طبق الاصل لاقديما ولا حديثا.³²

وهذا هو الشاعر المسيحي جوزيف الهاشم من اشهر شعراء الزجل والوزير اللبناني السابق يقول واصفا الامام علي.³³

هو الامام حسام الدين فارسه

مازگرد السيف الا بين قبضته

يد النبوة شددت عزم ساعده

واطلقته اماما من طفولته

سيد البيان وباب العلم مشترعا

والفقه مذ كان نهج من بلاغته

هو العلي وصي الارض فانتهجوا

ووزعوا البشر واحكو عن ولايته

³⁰ ينظر : الامام علي نبراس ومتراس: 28

³¹ ينظر : المصدر نفسه: 11

³² ينظر : علي في الكتاب والسنة والادب (للحاج حسين الشاكري) : 443/5

³³ ينظر : الامام علي في الفكر المسيحي المعاصر (راجي انور هيفا) : 174

اذن حقا ان عليا لمن عمالقة الفكر والروح والبيان في كل زمان ومكان³⁴، فمنهم من جعل الامام نسخه فريدة ليست لها صورة طبق الاصل قديما ولا حديثا ومنهم من اطلقه اماما منذ طفولته ومرافقته للنبي (ص)، ومنهم من جعله المفكر في كل زمان ومكان، ليست هذه والله العلمية الكبرى التي ليس لها مثيل ولم تتحقق هذه العلمية لولا كثير من المؤهلات توفرت في الامام علي (ع)، وهي الايمان المطلق والتقوى المتجسده وهو اقوى رجل يستطيع السيطرة على عصابه وعواطفه وهو الذي لاتأخذه في الله لومة لائم وهو الحق المحض الذي لايشوبه شي، ونستطيع ان نقول: ان تطبع نفسية الامام علي (ع) على العدالة والتزامه بها بالغا مابلغ هو السبب الوحيد الذي فرق عند ذوي الاطماع والاغراض .

كما انسيرة الامام علي (ع) تلتقي بالفكر ... كما تلتقي بالخيال والعاطفة لانه صاحب اراء في التصرف والشرعية والاخلاق التي سبقت جميع الراء في الثقافة الاسلامية ولانه احجى الخلفاء الراشدين ان يعد من اصحاب المذاهب الحكيمة بين حكماء العصور ولانه اوتي من الذكاء ماهو اشبه بذكاء الباحثين والمكتبيين منه بذكاء الساسه المتغلبين فهو الذكاء الذي تحسه في الفكرة والخاطفه قبل ان تحسه في نتيجة العمل ومجرى الامور.³⁵

ونجده يؤكد على قضايا مجتمعه المهمة في كثير من حياتنا اليومية واهمها موضوع العلم والعلماء فعن ابي حمزة الثمالي، عن عبد الرحمن بن جندب عن كميل بن زياد النخعي قال: العلم حاكم والمال محكوم عليه ... ياكميل ... مات خزان المال ... والعلماء باقون مابقي الدهر.³⁶

فقد كان الامام (ع) هو المعلم والباعث للروح العلمية، وهو الذي فتق ابواب العلوم في الاسلام ... كعلم الفلسفة والكلام والتفسير والفقه والنحو وغيرها من العلوم التي تربو على ثلاثين علما، واليه تستند ازدهار الحركة العلمية في العصور الذهبية في الاسلام بحسب مانص عليه المحققون.³⁷

وعلى ضوء علمية الامام علي (ع) لابد لنا من: اعادة صياغة هويتنا الدينية التاريخية، واعادة الصياغة يعني فيما يعني من تعميم ثقافة المواطنة التي اوصى بها الدين الاسلامي واكد عليها مرارا وتكراراً مما يوجب القاء الضوء الى الله تعالى بعدد انفس الخلائق مما يفتح الباب على مصراعيه لقبول الاخر واحترام قيمه ومشاركته في حضارته فالتنوع لا يكون تهديداً وانما فائده وغنى، علما ان المسيحية والاسلام، اوسع الاديان انتشارا واكثرها تقارباً.³⁸

واغلب هؤلاء المفكرين البارزين الذين تناولوا شخصية الامام علي (ع)، لم يقيموا جسور التواصل الفكري مع رموز الطائفة الشيعية الا بعد ان اكتشفوا في ادب اهل البيت القيم الاخلاقية والمثل الروحية العليا التي فرضت نفسها عن طريق الحديث من القلب الى القلب لا عن طريق السيف والنار ... وفي هذا السياق يقول الكاتب المسيحي اللبناني الشهير جورج جرداق ذو الاطلاع الواسع في ثقافات العالم، لقد وجدت في شخصية الامام علي بن ابي طالب (ع) علما شاملا ونبوغا ساحراً وبلاغه اسرة وخلقاً نقياً ومثلاً رائعاً في قيادة الامة، انه كان قوياً في ايمانه ووداعته

³⁴ ينظر : الامام علي صوت العدالة الانسانية (جورج جرداق) : 229/1

³⁵ ينظر : عبقرية الامام علي (عباس محمود العقاد) : 7

³⁶ الجوهرة في نسب الامام علي واله (محمد بن ابي بكر الانصاري البزي) : 83

³⁷ حياة الامام الحسين (ع) (باقر شريف المقدسي) : 417/1

³⁸ ينظر : المواطنة في فكر الامام علي (ع) قراءة معاصرة (الشيخ محمد عسيان) مجلة الموسم والانسكلوبيديا العلوية ، ج 110 :

وعدله وزهده وتقواه حتى رايته وكأنما هو قرآن بعد القرآن واقرب خلق الله بعد الله³⁹ . اذن فهي منظومة الاخلاق المتميزة عن اسلام اهل البيت، قد دفعت بالكثير من ادباء الشرق المسيحي وغيرهم للكتابة بصورة وجدانية عن ادب ائمة الشيعة .

واما الحضارة الغربية فقد كانت لاتعرف شيئاً عن حقوق الانسان في ماضي الزمان الى جاءت الثورة الفرنسية عام 1789 اذ وضعو وثائق حقوق الانسانومن هنا يمكن القول ان القيم الاخلاقية التي اعلنها الاسلام في القرن السابع الميلادي ظهرت في الغرب بعد قرون عديدة بمصطلح (حقوق الانسان) .⁴⁰

ولقد جذبت شخصية الامام علي (ع) مختلف المذاهب والطوائف باعداد لا تحصى من المفكرين الغرب، فهذا الكاتب الاسكتلندي والناقد والمؤرخ توماس كاريل يقول: (اما علي فلايسعنا الا ان نحبه ونتعشقه، فانه فتي شريف القدر كبير النفس يفيض وجدانه رحمة وبراً ويتلظى فؤاده نجدة وحماسة وكان اشجع من ليث) .⁴¹

واما المفكر والمتخصص بالدراسات الاسلامية ويلفريد ماديلونغ يقول: " لا اهتم بالطابع بالاديلوجي او الاقتصادي وحتى التاريخي بفترة حكم الامام علي (ع) مايهمني هو شخصيته وماحملته من قيم ايجابية او سلبية هادفة او ضارة، بلاشك فانه شخصية عظيمة"⁴²

الخاتمة

1- ان محاولة الحديث عن ابعاد الشخصية العلمية والفكرية عند الامام علي (ع) مهما اعطيت من التوفيق، يستحيل عليها ان تحدد الفكر العلوي العظيم، وتحيط بابعاد معرفته التي تميز بها (ع) وعلو شأنه في دنيا الفكر الاسلامي، وانه لم يترك مجالاً من مجالات المعرفة الصحيحة إلا ووضع اسسه وحدد معالمه، وترك الباب مفتوحاً لرواد المعرفة ان ينهلوا منه . وماهذا كله إلا حصيلة طبيعية للاعداد الخاص الذي توفر له من لدن رسول الله (ص) منذ طفولته (ع) حتى آخر ساعة من حياة الرسول (ص) .

2- ولرفد الامة المسلمة بجميع فرقها ان تنهل من علم وفكر الامام علي (ع) في دنيا الفكر الاسلامي لاجتمعت الكلمة وتوحد الصف والهدف، وماشهدت دنيا المسلمين أي لون من ألوان الشطحات والانحرافات المضلة التي جنح اليها رهط من اتباع المدارس الفكرية عند المسلمين .

3- وقد سبق الامام علي (ع) علم الاجتماع الحديث في دراسة للمجتمع وتحديد المؤثرات فيه بزمان طويل، مما يستحق ان يحمل بجدارة لقب مؤسس علم الاجتماع والواسع للبنانه الاولى من خلال ارساء المبادئ والمقومات الناجحة لارساء المجتمع الكوفي .

³⁹ ينظر : قراءة اكااديمية في علم مهارات لينة غير ملموسة (SOFT Skills) من هو مؤسس هذا العلم ؟ الامام علي (ع) ام علماء الغرب (البرفيسور تقي بن عبد الرضا العبدواني) : 188-189 .

⁴⁰ ينظر : المصدر السابق : 188

⁴¹ ينظر الامام علي (ع) في الفكر المسيحي المعاصر : 129

⁴² ينظر : قراءة في علم مهارات لينة غير ملموسة : 168 .

4- ان الشعب العربي الذي اعطى منذ بضعة عشر قرناً، أثراً كعالي ابن أبي طالب، يمكنه اليوم ان يعطي تأثيرين كثيرين على مجتمعاتنا البائسة التي ليست بكثيرها افضل من المجتمع الذي ثار عليه علي بن أبي طالب (ع) .

5- ان مراحل تاريخنا التي كان بطلها علي بن أبي طالب احد عظماء الانسانية الذين اسهموا في الاعلان عن حقوق الانسان اسهاما سوف نكشف عنه في حينه، ليكون لتاريخنا شرفا ولحاضرنا حافزا على التقدم .

6- نجد ان الأوروبيون يدرسون كل كثير وكل قليل في حياة مفكريهم القدماء ليس في ارائهم ومذاهبهم ولكنهم لا يقفون عند هذه الافكار وهذه الاراء وحدها مهما كان من شأنها عظيماً، بل يطلعون عليها ليتمكنوا من ضبط حلقات التاريخ ومعرفة سير الانسان من مرحلة الى اخرى ثم لياخذوا منها حافزا على التقدم لاعلى الجهود، وعلى هذا نفيد نحن اليوم من دراسة علي (ع) وسقراط وافلاطون وارسطو وغيرهم من ابطال الانسانية القدامى . ولان الامام علي (ع) هو رساله ... وتاريخ وحضارة وامة فقد خسرت الامة بفقدته بطولة تحدث انشودة للزمان وشجاعة ماحلم التاريخ بمثلها .

7- يبدو ان اختيار الكوفة عاصمة للدولة العربية قد جاء لمتطلبات الواقع الملحة لبناء دولة قوية متماسكة تستطيع ردع جميع الاخطار واهمها الانقسامات والانشقاقات التي نشبت في زمن الخليفة عثمان بن عفان وتطورت في زمن خلافة الامام علي بن أبي طالب (ع)، ولعل الموقع الجغرافي للكوفة وقربها من الشام بالنسبة للحجاز قد ساهم بشكل كبير في اختيار مقراً، اذ ان الضرورة الاسلامية والاجتماعية والفكرية والثقافية والعسكرية هي التي دفعته لاختيارها كي يفوت الفرصة على معاوية من اجتياح للعراق، ومنطقة المشرق برمته .

8- كما كان الاسلام ثورة على مجتمع جاهلي مجمد، كان وجود الامام علي ابن أبي طالب ثورة على قوم شأؤوا ان ينحرفوا عن الغايات الاجتماعية الطيبة التي كان من اجلها الاسلام يومذاك، فهو بهذا يمثل هذه الثورة بعد النبي الاكرم (ص)، وواضع قوانينها، والمعلن عن غاياتها، والساعي في تعميم خيراتها، اذن هذه الانتقال من مجتمع جاهلي الى مجتمع اسلامي منفتح متطور اجتماعيا وفكريا وحضاريا، وذلك هو المجتمع الكوفي العالمي .

المصادر والمراجع

-القران الكريم

- الامام علي (علي شريعتي) ، تز: علي الحسيني، دار الكتاب الاسلامي، ط1، مطبعة نمونه، 1379 هـ -2000 م .
- الامام علي نبراس ومتراس (سليمان كتاني) ، تم: هاشم محمد الباججي، الناشر: العتبة العلوية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ط2، 1432 هـ -2010 م
- الامام علي من المهد الى اللحد (السيد محمد كاظم القزويني) ، دار القارىء، ط16، بيروت، لبنان، 1425 هـ - 2004 م .
- الامام علي في الفكر المسيحي المعاصر (راجي انور هيفا) ، ط1، بيروت -دار العلوم، 2007 م .
- الامام علي (ع) صوت العدالة الانسانية، ج1، بيروت - دار المهدي، منشورات منشوراتندوي القري، مطبعة كيميا، 2003-2004 م .

- الامام علي نموذج الانسانية (الاستاذ صباح محسن كاظم) العتبة العباسية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية،
شعبة الاعلام، وحدة الدراسات والنشر، مطبعة دار الضياء - النجف الاشرف، ط2، 1433 هـ - 2012 م
- الارشاد (للشيخ المفيد)، ط، قم، 1428 م .
- بلاغة الامام الحسن (ع) (الشيخ عبد الرضا الصافي)، منشورات مكتبة الحكمة، كربلاء، مطبعة الاداب - النجف
الاشرف، د. ت . .
- جنة الماوى (الفقيه الكبير الشيخ محمد حسين ال كاشف الغطاء) تح: سيد محمد علي القاضي الطبطائي، تقديم
وترتيب مهدي الانصاري القمي، مؤسسة الشهيد الانصاري القمي لحيات التراث، ط1، 1429 هـ .
- الجوهرة في نسب الامام علي واله (محمد بن ابي بكر الانصاري التلمساني المعروف بالبزي، تح: محمد التونجي،
مطبعة قم، مؤسسة انصار بان للطباعة والنشر، ايران، ط2، 1425 هـ - 2004 م .
- الحضارة الاسلامية المؤرخ الهندي خودا بخش، ترجمة وتعليق دكتور علي حسين الخربولي، مدرس التاريخ الاسلامي،
جامعة عين شمس، دار احياء الكتب العربية، 1380 هـ - 1960 م
- حلة الاولياء (ابو نعيم الاصفهاني) دار الكتب العلمية، اصفهان، ط1 1988 م .
- حياة الامام الحسين (ع) (باقر شريف علي القرشي) ج1، انتشارات مدرسة الايرواني، ط1، 1413 هـ - 1992 م،
مطبعة باقري .
- الخصائص العلوية على سائر البرية (ابو الفتح محمد بن احمد بن علي النطنزي) تح علي ال كوثر، مجمع احياء
الثقافة الاسلامية، ط1، قم، 1433 هـ 2011 م .
- دراسات في نهج البلاغة (محمد مهدي شمس الدين)، الناشر: الدار الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت -
لبنان، ط3، 1981 م .
- شرح نهج البلاغة - لابن ابي الحديد، تح محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الجيل، بيروت، ط1، 1996 م .
- الطبقات الكبرى (ابن سعد محمد بن منيع) ت 230 هـ، 844 م) ط بيروت، 1996 م، بيروت، مكتبة دار
التربة، د. ت .
- عبقرية الامام علي (ع) (عباس محمود العقاد)، مطبعة منير، دار الفكر للطباعة والنشر بغداد، بيروت، مكتبة دار
التربة، د. ت .
- عيون اخبار الرضا (ع) (الشيخ الصادق ابي جعفر محمد علي بن الحسين بن موسى بن بابويه العميري) (ت
381- 991 م) بيروت، 1430 هـ - 2009 م .
- علي في الكتاب والسنة والادب (الحاج حسين الشاكري) ج5، ط1، 1418 .
- في نهج البلاغة (الاديب علي حسين الخباز)، سلسلة قراءات انطباعية / العتبة العباسية المقدسة، قسم الشؤون
الفكرية والثقافية - مطبعة دار الطباعة - النجف الاشرف، ط 143، 3هـ - 290 م .

كلمات الاعلام في شخصية الامام علي امير المؤمنين (ع) (للسيد الخطيب) المؤسسة الاسلامية للبحوث والمعلومات، قم، ط1، 1428هـ .

- مسند الامام الرضا (ع) (علي بن موسى الرضا 203 هـ - 818م) جمعية الشيخ عزيز الله العطار، ط، بيروت، 1413هـ (1993م) .

- مناقب الامام علي بن ابي طالب (ابن المغازلي، علي بن محمد الشافعي 483هـ - 809 م) تح الميرزا محمد باقر البهيو، ط3، 424 هـ - 203 م

- المناقب (الخوارزمي) الموفق احمد بن محمد المكي ت 568 هـ / 1172 م) ط 1، قم، 1420 هـ - 2000 م .

نهج البلاغة (شرح الشيخ محمد عبده) ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2007 م .

وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة (محمد بن الحسن الحر العاملي) ت 1033 - 1104 هـ، تح: مؤسسة ال البيت عليهم السلام لاحياء التراث، ايران - قم - ط1، مطبعة مهر، 1414 هـ .

ب- البحوث والدراسات

قراءة اكااديمية في علم مهارات لينة غير ملموسة (SOFT SKILLS) من هو مؤسس هذا العلم الامام علي (ع) ام علماء الغرب (أ دتقي عبد الرضا العبدواني: عميد كلية الخليج، سلطنة عمان)، مجلة - الموسم الانسكلوبيديا العلوية، ج110، 2015 م

- علي بن ابي طالب (ع) والخلق العظيم (الباحث الاستاذ جورج جرداق)، م مجلة الكلية الاسلامية الجامعة، عدد خاص بجائزة وارث علم النبيين امير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب (ع) للابداع الفكري، 13 رجب 1435 - 13 مارس 2014 م، السنة التاسعة، عدد/32، 1436هـ 2015 م .

المواطنة في فكر الامام علي (ع) قراءة معاصرة (مفتي صيدا في لبنان الشيخ محمد عسيان)، الموسم الانسكلوبيديا العلوية، موسوعة فصلية تعنى بالاثار والتراث السنة الثامنة والعشرون، 2015 م،